أساليب الدعاة إلى الله ، النبي نوح عليه السلام والامام الحسين عليه السلام أنموذجاً

"دراسة قرآنية تاريخية مقارنة"

المدرس المساعد
جبار محمد هاشم الموسوي

الأستاذ المساعد الدكتور
أمل سهيل عبد الحسيني
amuntaha88@yahoo.com

التمهيد:

منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل، بانَ هناك عنصران متناقضان، تقارعا بالحجة والبرهان بين خضم المعترك الانساني، تجسم الشر كله بأولهما، وتسربل الخير برمته بثانيهما، فصار الصراع سمة لهما، فالشر دائما ثائر يبحث عن مكان يحاول إثبات وجوده فيه، بينما الخير قد تجلبب برداء الوقار والهدوء يحاول أن يتجنب الشر والصراع معه.

لقد كان ديدن السماء دوما أن لا تترك المعركة حامية بين الاثنين، فترسل المرسلين والأنبياء والمصلحين والأوصياء ليكون الخير هو المنتصر، لكن الشيطان كان دوما في مرصاد الإنسان يحاول أن يحرفه عن جادة الصواب. ومن هذا وذاك سجل التاريخ وقائعاً وأدواراً لرواد قادوا حركة الإصلاح على وجه المعمورة، فصاروا بين قتيل وطريد مشرد بين الفلوات بسبب دعوتهم للإصلاح، فكانوا فقبل الاسلام كان هناك دعاة كثيرون، كان نوح عليه السلام واحداً منهم، وبعد أن نُشر الاسلام على وجه المعمورة كان للأوصياء دورهم، فكان الحسين عليه السلام واحداً من هؤلاء الذين إنتهت حياتهم بالقتل لكنه لم يُهزم بل ظل على طول الزمان شعلة وقادة تنير دروب المجاهدين الساعين لمرضاة الله.

نحاول في هذه الوريقات القليلة أن نُحدث مقارنة بين جهاد نبي الله نوح عليه السلام مع قومه وما أستنفذه من وسائل واساليب في سبيل الإصلاح، وبين دعوة الحسين عليه السلام لأجل إنقاذ دين جده من الإنهيار، فكان شعلة لمن أراد أن يقارع الظالمين على مدى التاريخ.

المطلب الأول

من أخلاقيات الدعاة إلى الله

شغلت مسألة الأخلاق فكر الإنسان منذ أزمنة بعيدة، فما أن بدأت المنافسة بين الناس

على مقومات الحياة وظهور الصراع بين الانسان واخيه، حتى ظهرت ملامح سلوك مذموم وآخر محمود، فكان ذلك إنعكاساً لإختلال النظام الحياتي، الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، الأمر الذي يعني في الجانب الآخر من الفكرة أن الإصلاح الأخلاقي في أي مجتمع لا يقوم إلا على أساس دعوة أخلاقية مثالية على النمط الاسلامي في الدعوة المحمدية، وقد كان هدف البعثة النبوية - بالإضافة إلى الهدف التوحيدي - تهذيب الاخلاق وتزكية النفوس، فقد قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[1]، ولو كان شيء عند الله أعظم من الاخلاق لإختص به النبي محمد ﷺ، فقد أثنى عليه في كتابه الكريم مبينا بذلك أهمية الاخلاق وقيمتها حين إمتن عليه في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/٤)، فكانت الاخلاق أساسا للدعاة إلى الله عز وجل، وقد أظهر القرآن الكريم المصلحين على أنهم من يقومون بالأعمال الصالحة وأنهم من ذوي النفوس الطاهرة، وأنهم يأمرون بالسلم والوئام، ويطلبون الكمال في أخلاق القريبين منهم، ويعملون على تحسين حال الناس، ولم ينقطع الإصلاح من وجهة نظر الشريعة الاسلامية منذ بعثة النبي ﷺ إلى اليوم؛ لذا بات من الواجب ان يكون المثل الأعلى للمسلمين إسلامياً مستنداً إلى القرآن والسنة، فكلما كان الفرد المسلم ملتزما بأحكام دين الله فهو النموذج الأمثل للإسلام الذي أراده الله أن يكون خاتم الأديان السماوية؛ لأنه يشكل الاطروحة المتكاملة لبناء الفرد والمجتمع، وقد كان شخص الرسول ﷺ ولا زال النموذج الصالح والقدوة المثلى لنظرية الاسلام؛ ولرفيع رتبته ﷺ وعظيم قدره أرشد الله تعالى الخلق إلى الإقتداء به في جميع أفعاله، فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الاحزاب/٢١)، وسار الاوصياء والعلماء والأعلام على نهجه؛ ولولا هذه السيرة العطرة لما إمتدح المولى عز وجل هذه القدوة الحسنة بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران/١١٠)، وإمتدح القرآن الكريم أيضا أشخاصا معينين من هذه الامة من الذين كانوا قدوة صالحة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر/٩)، وقال في موضع آخر: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ

مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الانسان/٨-١٠). وعليه فإن صفات وخصائص من يتولى أمر الامة أو أن يدعو إلى الله يجب أن تكون مستمدة من صفات رسول الانسانية صلى الله عليه وآله، فنحن مسئولون اليوم أكثر من أي وقت مضى لدراسة حياة هذا العظيم وسيرته دراسة تحليلية؛ الغرض منها أننا نحاول أن نتمثلها في حياتنا وتكون نبراسا لنا؛ لأننا اليوم في أحلك الظروف التي يجب أن يكون المقتدى فيها حاضراً أكثر مما مضى لأسباب عدة:

١- لأننا اليوم نواجه جاهلية عاتية تضرب بأطنابها أرجاء الارض، بل جاهلية اليوم أعتى مما كان بالأمس؛ كونها جامعة لكل مساوئ جاهليات الأمس البعيد والقريب.

٢- إننا اليوم نقترب من الظهور المقدس لمنقذ البشرية الإمام المنتظر(عج)، وشرط الظهور هو قناعة مناوئ الإسلام بالإسلام كنظام ورؤية للحياة لا تنفك عن القناعة بسلوك حامليه ومعتنقيه، وإسلامنا لا يحتاج إلى قناعة الآخرين؛ لأن مبادئه وأخلاقه هي الكفيلة بالإقناع، وقد وردعن الإمام الرضا عليه السلام قوله: (.... فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لإتبعونا)[٢].

٣- إن الإسلام يتعرض اليوم لهجمة همجية عاتية، تكالب فيها الشرق والغرب للقضاء على هذا الدين ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة/٣٢).

٤- إن الكثير من أبناء الاسلام قد إبتعدوا عن الاسلام، بل أسهم بعضهم بتشويه سمعته أمام الغرب، فما فعلته الوهابية وما يفعله أبناء القاعدة وما يسمى بـ(داعش) لهو وصمة عار على جبين الاسلام؛ لذا فنحن جميعا مكلفون بأن نُظهر الوجه الناصع لإسلامنا.

من هنا بات من الواجب أن نبحث عن القادة والمصلحين الذين بأفعالهم يستطيعون أن يغيروا المعادلة العالمية كما غيرها الإمام الخميني بالأمس والذي جعل الغرب - ولأول مرة - يفكر - وبجدية - بالاسلام، بعد أن إطمأن الغرب أن المسلمين قد إنحرفوا عن مبادئه، وأنهم قد نجحوا في إستدراج المسلمين إلى مستنقع السقوط. وقد كانت أخلاقيات المصلحين

نوعين بحسب الجهة التي تقع عليها:

١- الإصلاح الداخلي: وهو خاص بالفرد المصلح نفسه، وهو كائن في عمقه ويجب أن يجربه على نفسه قبل الآخرين.

٢- الإصلاح الخارجي: ويكون للفرد نفسه، إضافة إلى أبناء الامة؛ وذلك أن الأمة ليست ظاهرة مادية ووسائل حضارية، بل أن الأمة ظاهرة وغاية عبادية؛ لذا فإن للإصلاح في كلتا الحالتين - الداخلية والخارجية - شرائط عدة هي:

أ- الايمان: قال تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الانعام/٤٨)، فقد جعل

القرآن الايمان وإصلاح النفس هما المعيار للجواز إلى مرحلة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤]، فكان الايمان ضرورة ملحة في الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن من ضل طريق الله لا يمكنه أن يهدي أو يدعو الناس اليه.

ب- التوبة: قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه/٨٢)، والتوبة هنا بمعنى التوبة من الشرط، فمن عُفي من هذا المرض آمن وعمل صالحا ثم إهتدى، أي تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل[٥]، إذن الهداية بهذا المعنى هي التزكية النفسية والتطهير من الرجس، ويجب عليه المبادرة إلى التوبة وتجديدها بين الفينة والأخرى شريطة عدم العود واداء الحقوق ورد مظالم الناس، وهي بهذا تكون ضرورة ملحة للدعاة إلى الله؛ لأن من يكثر خطؤه لا يكون هاديا للآخرين.

ج- العفو: قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى/٤٠)، فهذه الآية تتحدث عن صفة العفو، أي (فمن عفا عما له المؤاخذة به وأصلح أمره فيما بينه وبين ربه فثوابه على الله)[٦]، فالعافين عن الناس والكاظمين الغيض هم النماذج التي يحتذي بها الغير، ومن كانت هذه أخلاقه كان حري بالناس إتباعه.

د- الدعوة إلى الله: وقد جسدها القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت/٣٣)، وفي هذا دليل على أنه(ليس هناك أفضل

من كلام الشخص الذي يدعو إلى الله وينادي بالتوحيد ثم يؤكد دعوته اللفظية هذه ويقرنها بالفعل والعمل الصالح)[٧]، وقد كان هذا هدف كل المصلحين والقادة الرساليين دوما، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك: (من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً)[٨].

هـ- إقامة الصلاة وإيتاء الواجبات: وقد تمثل ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/٢٧٧)، فهذه الآية الكريمة جمعت أعمالا للخير كثيرة؛ وذلك(للترغيب في الاعمال الصالحة والتفخيم لأمرها والتعظيم لشأنها أو لبيان أن الجمع بين هذه الخصال أعظم اجرا من الآخر بواحدة منها)[٩]، وهذا ما أشار اليه وأحب أن يفهمه الناس الامام الحسين عليه السلام في معركة الطف، إذ إنه - وعندما ذكّر أحدُهم الامامَ الحسين عليه السلام بدنو صلاة الظهر - قام لها مسرعا قائلا:(ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين)[١٠].

و- التقوى: ذكرها تعالى بقوله: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الاعراف/٣٥)، ومعنى ذلك ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وظاهر الآية يدل على أن من اتقى معاصي الله واجتنبها واصلح بأن فعل الصالحات فلا خوف عليهم في الآخرة)[١١]، وعليه فما معنى أن يكون الإنسان داعياً إلى الله ولم يتقه، إذن فالتقى صفة مهمة من صفات المصلحين؛ كونه قدوة للآخرين.

ز- تعاهُد الحق والصبر على ما يترتب على فعل الاصلاح من صعوبات ومكاره؛ نتيجة تعاهد أصحاب الباطل وعدم إيمانهم وشيوع مفاسدهم، وبالتالي الشك والريبة من كل ما هو سماوي مثل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ(١)إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر/١-٣).

ح- الاطمئنان المطلق بأن الله تعالى معه وناصره ثم الإخبات إلى امره تعالى: وقد تجسد هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ (هود/٢٣).

ط- يجب أن يكون عادلا قائما بالقسط: قال تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات/٩).

ي- أن لا يصدر منه كلام يسيء به إلى أحد - وإن كان عدوه -؛ لأنه قدوة لمن تبعه وعرفه وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر/١٠).

ك- أن يعتصم بالله في الرخاء والشدة: وقد تجسد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ (النساء/١٤٦)؛ لأن الاعتصام بالله يقود إلى الاصلاح الذي هو الهدف المنشود.

ل- أن يكون قريبا من كتابه المقدس: لأنه عهد الله في أنبيائه ومنعة له، وشعاعا لعقله، والغفلة عنه وجفاءه مصيبة ما بعدها مصيبة، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (ابرهيم/١)، وبالتالي يكون مَثَله - إذا ما جافى كتاب الله - كمثل بني اسرائيل عندما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة/٥).

م- إصلاح النفس: على الداعي أن يبدأ بإصلاح نفسه قبل أن يبدأ بإصلاح الناس لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة/١٠٥)، وأول إمارات إصلاح النفس معرفتها؛ لأن المعرفة تؤدي إلى ان تنكشف له نواحي نفسه، فلا يأتي من ناحية يجهلها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر/١٩)؛ لذا فإن صلاح النفس يؤدي إلى صلاح الناس، فالذي يريد أن يعلم الناس الكرم عالج قبل كل شيء شح نفسه بإستئصال هذه الرذيلة من نفسه حتى يتسنى له علاج الناس، وبعبارة أدق يجب أن تكون نفسه حقل تجارب.

ن- عدم الغرور والتكبر: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق/٥-٦)، فقد جُبل الناس على التكبر والغرور، وهما صفتان ممقوتتان عند الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، وقد قال امير المؤمنين عليه السلام: (إنما أُهلك الذين من قبلكم خفق النعال من ورائهم)[١٢]،وقد روى التاريخ أنه عليه السلام خرج وهو راكب فمشوا معه، فقال: ألكم حاجة؟ قالوا: لا ولكنا نحب أن نمشي معك، فقال لهم: إنصرفوا فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي، قال: وركب مرة أخرى فمشوا خلفه، فقال: إنصرفوا فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مُفسِدة لقلوب النوكى)[١٣]، وفي هذا دليل على أن الاذلاء عندما يمشون خلف الحكام فإنهم سيفسدون قلوبهم ويزرعون فيها الغرور.

هذه تقريبا أهم صفات الدعاة إلى الله والتي يجب أن يمتازوا بها عن سواد الناس وهي نماذج مصغرة لكل ما حوى الاسلام من تعاليم.

المطلب الثاني

أساليب نبي الله نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله

قبل الخوض في الوسائل التي إتبعها نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله، لابد من الوقوف على الحكمة التي من أجلها وجد القصص القرآني والذي منه قصة نوح(على نبينا وآله وعليه أفضل السلام واتم التسليم)، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف/١١١)، فمن تلك الحكم:

١- لكي يطلع الناس على أنواع غرائز النفس الانسانية وما جبله الله عليها من صفات، وما لهذه الصفات والغرائز من تأتير على سلوك وأفعال الانسان في علاقته مع الآخرين.

٢- هناك حقائق علمية في القصص القرآني تتعلق بالانسان والنبات والحيوان والافلاك والنجوم على حد سواء لم يتعرف عليها إلا في عصرنا الحاضر، ومعرفة هذه الاشياء تقوّي إيمان المرء.

٣- لكي يطلع المؤمنون الصابرون على حقائق الكفرة المجرمين الذين ناصبوا أهل الايمان العداء لا لشيء وإنما لإيمانهم بالله تعالى، عن ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج/٨).

٤- لكي يطلع من أوتي مالا وجاها على عاقبة من إغتر بماله وجاهه من الاقوام الماضية، فقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران/١٤٠).

٥- لكي يطلع الناس على سنن الله في خلقه من أمم وشعوب وأفراد، وهذه السنن كما جرت على الماضين فإنها جارية على القادمين؛ ليعتبر بها البر والفاجر، عن ذلك قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود/١٢٠) وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل/٦٩). (وفي دعوة القرآن إلى الإعتبار بالامم السابقة والاحداث الماضية حكمة بالغة؛ لأن الامم اليوم حين تمتلك حصيلة ثروة من تجارب الامم السابقة فإنها تكون أقدر على شق طريقها نحو الرقي والازدهار، وأمتنا الاسلامية - بالاضافة إلى منهجها الإلهي - وفر لها القرآن الكريم تجارب الماضين)[١٤].

٦- كذلك فإن فيها بيان لمناهج الانبياء في دعوتهم للحق جل وعلا، وكيف صبرهم على أذى أقوامهم، وبالتالي نصر الله لهم؛ ليتأسى رسول الله صلى الله عليه وآله بهم؛ لذا خاطب المولى تعالى نبيه بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الانعام/٩٠)، والاقتداء هو التأسي بعينه والسير على خطاهم وهو (الصبر وقوة التحمل والثبات في مواجهة المشاكل، ويقول بعض آخر أنه التوحيد وإبلاغ الرسالة، ولكن يبدو أن للهداية معنى واسعا يشمل التوحيد وسائر الاصول العقائدية، كما يشمل الصبر والثبات وسائر الاصول الاخلاقية والتربوية)[١٥].

هذه إذن أهداف وجود القصص في القرآن الكريم لعامة الناس، أما الهدف من وجودها بالنسبة للدعاة إلى الله فإن كل ما سبق يفيد هؤلاء مع ثمة زيادة لهم ألا وهي

تعريفهم بمناهج الدعاة من الانبياء وأتباعهم وما أصابهم في سبيل دعوتهم إلى الله تعالى وكيف تحقق نصر الله لهم بعد أن بلغت القلوب الحناجر؛ حتى يعلموا أن ما أصاب المؤمنين السابقين الدعاة إلى المولى عز وجل لابد أن يصيب الدعاة المؤمنين اللاحقين لهم، وفي كل هذا وذاك ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الاعراف /١٢٨)، وهذه الحصيلة لا ينبغي للدعاة إغفالهم عنها ولا إغفالهم عن الامور المتعلقة بالنفس البشرية؛ لأن تعاملهم سيكون مع البشر ودعوتهم لهذه النفس البشرية، وهذا بدوره يحتاج فقه واسع وعميق وصحيح لسبر أغوار النفس البشرية وطبيعتها وما جبلت عليه، وهذا لا يحصل إلا من خلال النظر فيما قصه المولى علينا من قصص مَن مضى، سواء كانوا مؤمنين أم كفار صعاليك فاجرين، لاسيما وأن طبيعة النفس البشرية هي هي الآن كما كانت أول الخليقة، فالحسد الذي بسببه قتل قابيل أخاه هابيل لا زال ينخر بالنفوس إلى يومنا هذا، فمن ضيع هذه الامة غير الحسد؟، فلولا حسد القوم لعلي بن أبي طالب لما إنقشق المسلمون إلى طائفتين بعدما إختارت السماء أمير المؤمنين خليفة على الناس ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص/٦٨)، ولما حُرمت أمة الاسلام من تلك الامتيازات الربانية التي كانت مقررة لهم لولا نكث العهد مع الله. فهذه الأمة نكثت عهدها كما نكث اليهود والنصارى بالأمس ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة/٦٦)، فكان مصيرها الحرمان.

نعود للحديث عن نبي الله نوح عليه السلام وعن أساليبه وآلياته التي إتبعها في الدعوة إلى الله، فهو عليه السلام أول رسول من أولي العزم بعثه الله، فهو نوح بن لمك بن متشولخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنونس بن شيث بن آدم أبو البشر، وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات مما يلي غربي الكوفة[١٦]، كان نجارا فإنتجبه الله نبيا، وقد سلم الله تعالى عليه فقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات/٧٩-٨١)، وقد سمي نوح لأنه بكى خمسمائة سنة كما أخبر بذلك الامام الصادق عليه السلام[١٧]، وقيل: إنه ناح على نفسه وقومه، وقال الشيخ الصدوق:(إن هذه الاخبار كلها متفقة غير مختلفة، تثبت له التسمية بالعبودية، وهو عبد الغفار والملك

والاعلى)[١٨]، وقد (إختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح، فمنهم من قال: إنهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل وأن منهم من يقول كانوا أهل طاعة بيوراسب، وبيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين أُرسل اليهم نوح)[١٩].

أما الحقيقة التي صدع بها القرآن أنهم كانوا يعبدون الاوثان، وقد قال تعالى عن تلك العبادة: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح/٢٣-٢٤)، وقد صبر على أذى قومه كثيرا، فهو أول الصابرين من أولي العزم الذين إمتاز قومهم بحب الدنيا وحب التسلط، وبهذا أغلقوا مع أنبيائهم كل أبواب الحوار ومنافذ التعقل وظلموا وإعتدوا فطبع الله على قلوبهم، حتى وصفهم القرآن الكريم بشتى الصفات، فمرة قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الاعراف/٦٤)؛ وذلك لشدة تعصبهم وإصرارهم على الباطل، ومرة وصفهم بالفسق فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الذاريات/٤٦) لأنهم رجعوا من الهدى إلى الضلال، وأخيرا وصفهم بالظالمين، فقال عزّ وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون/٢٨)؛ لأنهم ظلموا أنفسهم وغيرهم، فظلمهم لأنفسهم تجسد في حيادهم عن طريق الحق، وظلمهم لغيرهم لقولهم: انهم منعوا قومهم من الهداية والرشاد، فقالوا لقومهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون /٢٤-٢٥)، وتفننوا في إضلال أنفسهم وقومهم، فردوا عليه من أجل إيهام الجهال من قومهم بأن المرسلين يجب أن لا يكونوا من البشر، بل يكونوا من الملائكة، فقال عز وجل عنهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود/٢٧)، مع ذلك صبر وثبت على المبدأ مخبرا إياهم أن لا إكراه في الدين ولا إلزام بدون تعقل وإقتناع، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود/٢٨)، عند

ذلك إستخدم وسائله التي ظن أنه بواسطتها يستطيع أن ينجي قومه من العذاب؛ لأنهم أبناء جلدته وعشيرته رغم الذي لاقاه منهم في دعوته،(فقد كان يضربه قومه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون)[٢٠]، وهذه مقولة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله عندما ضربه قومه: (اللهم إهد قومي.....)[٢١]، بل هذا ديدن كل الانبياء والصالحين والمصلحين في دعوتهم لأقوامهم إلى طريق الحق.

أما الوسائل التي إتبعها عليه السلام في دعوة هؤلاء القوم الضالين فكانت متنوعة وعديدة؛ وذلك أملا منه أن التعدد في الاساليب سوف يحقق الاستجابة من أبناء قومه، ولكن هيهات، فلم يستجب له إلا القليل، وفي هذا دليل على أن أحقية الدعوة وتعدد أساليبها لا تكفي لإستجابة المدعوين وقبولهم لها، بل لابد أن يكون لدى المتلقي القابلية على الاستجابة، ولا ننسى أن نوحاً عليه السلام هو أول من استخدم طريقة الحوار العقلي والجدل الحر في دعوته، ولا نجد في القرآن ما يشير إلى أن نوحاً عليه السلام قد حارب قومه، بل الذي يشير اليه القرآن أن هناك حوارات كثيرة جرت بينه عليه السلام وبين قومه، وهذا دليل على أن نوحاً عليه السلام إستعمل طريقة الحوار السلمي أو لنقل: طريقة الاصلاح السلمي؛ لذا فالمولى عز وجل يقول عنه: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات/٧٩)، أي أن نوحاً عليه السلام بهذا الاسلوب الذي دعا قومه فيه قد إستحق تحية الله عليه في كل الخط العالمي البشري، فله الفضل على كل الانبياء بهذا النمط من الدعوة، كما أشار السيد الطباطبائي[٢٢].

ومن تلك الآليات التي استخدمها النبي نوح عليه السلام هي:

١ـ **التلطف**: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الاعراف/٥٩)، كذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء/١٠٦)، فهاتان الآيتان تشيران إلى أن نوحاً عليه السلام عندما إختار لغة التلطف مع قومه كان قصده أن يثير مشاعرهم نحوه فيأتون اليه صاغرين ويقبلون دعوته، وقوله في الآية الأولى: (يَا قَوْمِ) يريد أن يشعرهم أنه منهم وهم منه، فمن كان كذلك فهو يسعى - بالتاكيد - إلى طلب الخير لقومه وعليهم الاستجابة، أما الآية الثانية فقد إختارت كلمة (أَخُوهُمْ) والتي تعني إخوة النسب لا الدين، فأراد أن يثير لديهم عاطفة الاخوة النسبية التي تعني أنه ليس ببعيد عنهم، بل هو أخوهم يريد لهم الخير.

٢ـ النصح وإظهار الشفقة:

إن تلطّف نوح مع قومه لم يكن كافيا بالنسبة لهم، فإحتاج إلى إظهار الشفقة عليهم بإعتبارهم قومه، وردعاً للعذاب الذي وعده الله بإنزاله بهم - إن هم حادوا عن الطريق القويم-، لكنهم أبوا أن يسمعوا له وينصتوا، وقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (نوح/١-٢)، فالله سبحانه وتعالى يخبر نوحاً - هنا - بضرورة إنذاره لقومه بعذاب أليم إن لم يستجيبوا لنداء العقل، وقد خاطبهم عليه السلام (فأضافهم إلى نفسه، فكأنه قال: انتم عشيرتي، يسوؤني ما يسوؤكم ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي مخوفٌ مبيّنٌ وجوه الادلة في الوعيد)[٢٣]، هذا في سورة نوح، أما في سورة الاعراف فكان خطابه لهم بالصيغة نفسها، صيغة التلطف ولكن بإنذار أشد قوة مما كان عليه سابقاً، محذراً إياهم من عذاب يوم القيامة، فهناك كان تحذيره لهم من عذاب واقع بهم في الدنيا، أما الآن فإنه يحذرهم من عذاب يوم القيامة، لكنه عليه السلام فوجئ بجواب كبراء قومه وساداتهم بقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الاعراف/٦٠)، فأجابهم عليه السلام بعد أن أحزنه جواب هؤلاء بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الاعراف/٦١-٦٢)، فهنا يخبرهم أن هناك أموراً غيبية لا يعلمون بها ولكنه علم بها لأنه رسول من رب العالمين، وعلم ذلك من قدرة من يستطيع أن يبطش بأعدائه ولا يستطيع أحدٌ أن يرد بأسه عن القوم المجرمين.

٣ـ دعوته لهم ليلا ونهارا وبمختلف الكيفيات:

إغتنم عليه السلام كل الفرص التي يظن أنها تكون سبباً لدفع العذاب عن قومه وأبناء جلدته، لم يهمه وقت معين بل دعاهم ليلاً ونهاراً، إن كانوا هاجعين أم كانوا عاملين، فقال عن ذلك: ﴿. . . رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح/٥) حتى لا يبقى لهم حجة عليه، ثم واصل كلامه مع ربه فقال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح/٨-٩)، وفي قوله هذا دليل على إكمال الحجة عليهم، فقد دعاهم في كل الاحوال سواء كانت هذه الدعوة علنية أم سرية، وهذه الاساليب والتنوع فيها هي أقصى ما يستطيع الانسان أن يصل الله في مجال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تؤتي أكلها ولو بعد حين.

٤ـ إستعمال أسلوب الترغيب معهم:

بعد أن يئس من قومه بدعوتهم بالطرق القديمة إستعمل أسلوباً أنجع منه، وهو دعوتهم إلى ضرورة ترك المعصية وطلب المغفرة منه تعالى، بعد أن تفننوا في الرد عليه، فمرة يضعون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامه ودعاءه، ومرة يغطون وجوههم بثيابهم لئلا يروه، مصرين على كفرهم، قال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح/٧)، فقال لهم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح ١٠-١٢)، فهو عليه السلام في كل أساليبه يدعوهم لدنياهم وأخراهم، يرغبهم في ما سينعم عليهم المولى إذا هم إستجابوا له والى ما سيغفر لهم يوم القيامة، وهذه الدعوة مشتركة بين كل الانبياء والمرسلين لأقوامهم، فقال تعالى واصفا حال استجابتهم في الدنيا ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الاعراف/٩٦)، وكان هذا ديدن القرآن الكريم مع كل الامم فقد حذر اليهود والنصارى من عدم إقامتهم التوراة والانجيل، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة/٦٦)، فالكل معني بهذا الخطاب، وعليه فلتسمع أمة الاسلام بهذا، وبالتالي لتعرف عاقبة من حاد عن طريق الصواب، وهذا هو بالضبط ماوصلت اليه الامة الاسلامية نتيجة صدها وعنادها؛ لأنها لم تتعض بمن كان قبلها من الامم، مع العلم أن القرآن يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي﴾ (يوسف/١١١)، وقد صارت اليوم أمة متناحرة فيما بينها، يقاتل بعضها بعضا ويكفّر بعضها بعضا تحت مسميات عدة. ومع كل هذه الترغيبات رد قوم نوح عليه دعوته، فإضطر إلى استعمال اسلوب الترهيب وهو آخر الاساليب قبل إنزال العذاب.

٥ـ أسلوب الترهيب:

بما أن قوم نوح صدوا عن اسلوب الترغيب والتخويف من عذاب الدنيا والآخرة، صار ملزما عليه السلام ان يدعوهم بأسلوب آخر يختلف عن الاول، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى

قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (نوح/١)، والعذاب الاليم هنا هو الغرق والطوفان[٢٤]، وهو قول مقاتل، فهو يرهبهم من مغبة العصيان وعدم إستجابة دعوته فيقول لهم: ﴿قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الاعراف/٥٩)، والعذاب الاليم هنا غير الاول، فالمقصود هنا (عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون)[٢٥]، وبهذا يكون الترهيب نوعين من العذاب: الاول عاجل دنيوي وهو الغرق والطوفان، والآخر آجل وهو عذاب يوم القيامة إن هم خالفوا دعوته ولم يستجيبوا له، وبعد أن وصل معهم إلى طريق مسدود قال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح/١٣)، أي(لا تخافون لله عظمة، فالوقار العظمة إسم من التوقير فكان هذا آخر محاولة منه عليه السلام لدعوة قومه قبل نزول العذاب، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الاعراف/٦٤)، والذي نلاحظه في دعوة نوح عليه السلام - بعد أن استنفد كل الآليات والاساليب في الدعوة - أنها كانت قد ركّزت على ضرورة أن تكون العبودية لله وحده لا شريك له، ويؤكد هذا قوله: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الاعراف/٥٩)، وقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (نوح/٢-٣)، لكن الشيطان ختم على سمعهم وأبصارهم فأعماهم رغم وضوح أخبارهم بأن الله وحده الذي يستحق العبادة وأن عليهم أن لا يشركوا به شيئاً، ورغم هذا وذاك فقد أخذوا يثيرون الشبهات حوله، ومن تلك الشبهات التي أثاروها:

١- قالوا: إنه بشر، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ (هود/٢٧).

٢- يجب ان يكون النبي مَلَكا؛ لذلك حكى الله عنهم بقوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/٢٤).

٣- ان اتباعه جميعهم من الارذلين، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ (هود/٢٧).

٤- أنه لا فضل له ولا للثلة المؤمنة معه، قال تعالى: ﴿...وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود/٢٧).

٥- ان نوحاً يريد أن يتفضل عليهم: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون(٢٣-٢٤)، أي هو يريد الارتفاع عليهم على سبيل التكبر.

٦- ادعاؤهم أ نوحاً مجنوناً قد اصابه مس، وقد تجسد هذا في قولهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (المؤمنون/٢٤)، فارادوا من خلال ادعائهم هذا ان يوهموا السذج من الناس بان نوحا قد اصابه الجنون وان كان ينطق بالحكمة واتلمنطق والتعقل وان الجنون فنون، وهذا ما ستكشفه الايام القادمة. وما هذه الا حجج واهية لرد دعوته، فما كان منه - بعد ان استنزف كل الطرق - الا الدعاء عليهم، فقال: ﴿... رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح/٢٦)، فكان الطوفان ثم الغرق ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود/٤٤).

٧- اتهموه ومن اتبعه بالكذب، وهذا ديدن الكافرين الذين ينهارون امام منطق الصدق والحكمة عند اصحاب الحق، فقالوا: ﴿...وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود/٢٧). والذي نود الاشارة اليه في خاتمة هذا المبحث هو التاكيد على أن نوحاً عليه السلام في دعوته هذه كان صراعه مع قومه مباشرة، أي لم يكن صراعه مع طاغوت من طواغيت الارض كما كان الامر مع نبي الله إبراهيم عليه السلام في صراعه مع نمرود أو النبي موسى عليه السلام في صراعه مع فرعون؛ لذا نجد القرآن كلما وردت قصة نوح يحدثنا عن حواره مع قومه وليس مع ملك متسلط، ومن هذا نستنتج أن نوحاً عليه السلام عاش مرحلة وجود المجتمع دون وجود دولة أو حاكم متسلط، أي أن مجتمعه كان مجتمعاً عشائرياً صرفاً؛ لذا فقد ظهرت فيه طبقتان: طبقة الاغنياء

المترفين وطبقة الفقراء المعدمين؛ لذا كانوا دوماً يواجهونه بالقول: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود/٢٧).

المطلب الثالث

أساليب الامام الحسين عليه السلام في الدعوة إلى الله

بعد أن بيّنا اساليب النبي نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله، نحاول الآن عمل مقارنة بين تلك الوسائل النوحية والاساليب الحسينية؛ ذلك لأن حركته عليه السلام إمتداد لحركات الانبياء والمرسلين، رغم إختلافها عنها في بعض الاحداث والاشكال والوقائع، لكن جمبعها تشترك في الاهداف والمبادئ، والى هذا المبدأ أشار عليه السلام عند خروجه من مكة المكرمة، فقال ضمن حديث طويل: (.... وما أولهني إلى أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف.....)[٢٧]، وبهذا يكون عليه السلام قد ربط حركته بحركة من سبقه من انبياء الله، فربط حركته بحركة يعقوب ويوسف عليهما السلام، ليس هذا فقط بل ربط حركته بحركة يحي بن زكريا، فقال عليه السلام - عندما عرض عليه عبد الله بن عمر أما البقاء في المدينة وأما مبايعة يزيد -:(يا عبد الله، من هوان الدنيا على الله أن رأس يحي بن زكريا يهدى إلى بغي من بغايا بني اسرائيل، وأن رأسي يهدى إلى بغي من بغايا بني أمية)[٢٨]، فهو عليه السلام يشير إلى تلك الحلقة المتسلسلة التي تربطه بأنبياء الله الذين كانوا قبل جده صلى الله عليه وآله، وقد أكد هذا الربط أئمة أهل البيت عليهم السلام في الزيارة المعروفة بزيارة وارث،فالامام الصادق عليه السلام يوصي المفضل بن عمرو ويلقنه كيفية زيارة الحسين عليه السلام فيقول له: (يا مفضل إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليه السلام فقف بالباب وقل هذه الكلمات فإن لك بكل كلمة كفلاً من رحمة الله، فقال المفضل: ما هي جعلت فداك؟ قال عليه السلام: تقول: (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد رسول الله)[٢٩]، وهذا التنوع في وراثة الانبياء وتنوع ادوارهم وصفاتهم يدل على ان الامام الحسين عليه السلام قد جمع معاني كل هذه المفردات والاسس والصفات ليقوم من خلال حركته الاصلاحية بكل هذه الادوار.

إذن، فالامام الصادق يثقف لربط حركة سيد الشهداء بحركة الانبياء والمرسلين ولسان

حاله يقول: إن الحسين حلقة في هذه السلسلة، وما قام به ليس مفصولا عن حركة هؤلاء الانبياء، لكنه عليه السلام فكر وقبل طرح أساليبه الثورية بتثقيف الامة؛ لأنه كان يعلم في قرارة نفسه أنه يمتلك المبدأ الصالح متمثلا بنموذجين قادرين على إحداث التغيير الفعلي ألا وهما: القرآن والاسلام، كذلك القائد القادر على قيادة الامور المتمثل به عليه السلام - فهو إمام معصوم مفترض الطاعة، وإن كانت هذه الحقيقة غير واضحة لكل أبناء الامة إلا القليل الذين ركبوا سفينة النجاة - فما كان عليه إلا البحث عن تلك الامة الصالحة التي تستطيع التفاعل معه والتي نسيت أو تناست قيمتها ومكانتها بين الامم، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران/١١٠)، فسعى عليه السلام هو ومن جاء بعده من الأئمة عليهم السلام إلى ذلك وبذلوا كل الجهود من أجله، فأخذ بإحياء الامة من خلال إلقاء الخطابات السياسية التي كان هدفه منها التثقيف السياسي، وهذا أهم إرث تركه عليه السلام اليوم لشيعته ومنه يستمدون ويثقفون لكل الثورات، فما الاستجابة التي قام بها شباب الشيعة اليوم في الذود عن حياض الوطن العراق ضد الهجمة الشرسة التي يتعرض لها على يد العصابات الارهابية المتمثلة بـ(داعش) الاجرامية التي أحرقت الاخضر واليابس بدعوى الجهاد، إلا مستمداً من تلك المدرسة التي ثقف لها الحسين عليه السلام، وهذا العمل الذي قام به عليه السلام لم يكن جهد يوم وليلة بل خطط له قبل الثورة بعشر سنوات بعد رحيل أخيه الامام الحسن عليه السلام، وقد أحس بعض المتزلفين لمعاوية بهذا النفس الحسيني، فحذروا معاوية بضرورة إخراج الامام الحسين عليه السلام من المدينة إلى الشام حتى يكون قريباً من عيون السلطة، وقد إمتحن معاوية الامام الحسين عليه السلام ليطلع على خباياه فسمح له أن يخطب بالناس، فقال عليه السلام: (نحن حزب الله الغالبون وعترة رسول الله الاقربون وأهل بيته الطيبون وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله.... فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة)[٣٠]. ومواقف أخرى كثيرة كلها تدل على أن الامام الحسين كان يتحين الفرص لأجل التثقيف الديني السياسي الذي هو بمثابة حجر الاساس لثورته الرائدة فيما بعد.

أما أهم أساليبه في الدعوة إلى الحق فكانت:

أولاً: الصبر:

وكان أول الاساليب، فعندما دُس السم للإمام الحسن عليه السلام ومات شهيدا أوصى أخاه

الحسين عليه السلام أن يدفنه مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن حصلت معارضة أن يدفنه في البقيع مع جدته فاطمة بنت أسد وقال له: يا أخي احملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدد به عهدي ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد، فلما غسله وكفنه وحمله على سريره وتوجه به إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله أتى مروان بن الحكم ومن معه من بني أمية فقال: أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي؟، لا يكون ذلك أبدا، ولحقت عائشة على بغل وهي تقول: مالي ومالكم؟ تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب؟ فقال إبن عباس لمروان بن الحكم: لا نريد دفن صاحبنا فإنه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يطرق عليه هجماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه، إنصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصى، ثم قال لعائشة: واسوأتاه، يوماً على بغل ويوماً على جمل، وفي رواية: يوماً تجملت ويوماً تبغلت وإن عشت تفيلت، وقد أخذ هذا المعنى الشاعر إبن الحجاج البغدادي فقال:

يـــا بنـــت أبي بكـــر ... لا كـــان ولا كنـــت

لـــك التســـع مـــن الـــثمن ... وبالكـــل تحكمـــت

تجملـــت تبغلـــت ولـــو ... عشـــت تفيلـــت[٣١]

وكادت الحرب تقع بين الطرفين، ولولا حكمة الامام الحسين عليه السلام وصبره لوقعت فتنة في الإسلام. وبعد أن دفن الامام الحسن عليه السلام وقع الامام الحسين على قبره (ذارفاً دموعه، مفكرا بتكالب الظالمين على الحق، أراد عليه السلام في تلك اللحظات أن يبرر مواقف الحسن عليه السلام أكثر عما يعبر عن عاطفته تجاهه)[٣٢] فأنشأ يقول: رحمك الله أبا محمد أن كنت لتباصر الحق مظانه، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسب الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الاطراف نقيّة الأسرّة، وتردع بادرة غرب أعداءك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة، فإلى روح وريحان وجنة نعيم، أعظم الله لنا ولكم الاجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عليه [٣٣]، وبهذا يكون عليه السلام قد آثر الصبر والسكوت بعد رحيل الامام الحسن عليه السلام (عشر سنوات عاصر معاوية لم يثر عليه حرباً، لماذا؟ لأن هناك بنود معاهدة الامام الحسن عليه السلام مع معاوية التي تقول: إن الخلافة بعد معاوية تكون للحسن ثم

للحسين عليه السلام، فالإمام الحسين عليه السلام محكوم بهذا العهد، فصبر عليه السلام عشر سنوات لم يثر على معاوية ويقطع النظر عن أي تحليل سياسي، بل هو الالتزام الاخلاقي بالعهد الذي قطعه الامام الحسن عليه السلام؛ لأن هذا العهد ذمة شرعية فلا يمكن أن يأتي الحاكم الثاني ويمزق هذه العهود الماضية)[٣٤]، ولكنه وبعد أن مزق معاوية بنود الصلح مخاطباً أهل العراق:(والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولتصوموا ولتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتعقلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمرعليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها)[٣٥]. حينها أخذ الحسين عليه السلام أسلوب جديد من أساليب الدعوة.

ثانياً: إيقاظ إرادة الأمة:

لقد لفق بنو أمية أحاديث كثيرة وموضوعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الهدف منها قتل إرادة الامة، فأشاعوا بينهم الخرافات، من ذلك قولهم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحذيفة بن اليمان: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس، قال: قلت: كيف اصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك قال: تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع)[٣٦]، وكذلك إشاعة المفاهيم التي تحرم الخروج على الجماعة وشق عصا المسلمين وإشاعة نظرية الجبر، فمن ذلك ما قاله معاوية عندما قصد المدينة محاولاً تهيئة المناخ لولاية إبنه يزيد على الامة، فذهب لزيارة عائشة، ومما قاله لها: (.... إن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم)[٣٧]، كذلك ما قاله لعبد الله بن عمر عندما سأله عن سبب توليته يزيد، فقال: (.... إني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملتهم، وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم..)[٣٨]، وإزاء كل هذا وذاك كان يجب عليه عليه السلام - وهو الامام المعصوم المفترض الطاعة-أن ينهض بالامر؛ لعلمه أن الامة أصبحت فاقدة القدرة على التمييز بين ما هو صحيح قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين ما هو موضوع تُقُوّل به عليه صلى الله عليه وآله، وإذا أصيبت الامة بهذه العاهة فقدت إرادة التغيير وأصيبت على أم رأسها، فأراد عليه السلام أن يكون هنالك حدثا مدويا يهز ضمير الانسانية ويحرك الارادة التي قُتلت داخل المرء المسلم، حتى وصل الحد بالامة أنها إعتادت على الظلم وصار المنكر

عندها معروفا، والى هذا المعنى أشار السيد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر بقوله:(إن الامة كانت مصابة بمرض الشك في زمن معاوية بن أبي سفيان، وقد عالجه الامام الحسن عليه السلام بالصلح مع معاوية، أما في زمن يزيد فإن الامة برئت من ذلك المرض وكانت تعرف الحق واهله وتعرف الباطل وأهله، ولكنها أصيبت بمرض آخر هو مرض(فقدان الارادة) أو (فقدان الضمير) وهذا المرض لم يكن له علاج لكي تبرأ الامة منه سوى أن يقدم الامام الحسين عليه السلام على التضحية بنفسه وأهل بيته؛ لكي يهز بها الضمائر الميتة ويبعث الشجاعة والارادة فيها، وهذا ما حدث فعلا وحصلت تبعا لذلك النتائج المتوقعة)[٣٩]، فما كان من الامام عليه السلام - لكي يحقق الهدف - إلا الإنتقال إلى الاسلوب الآخر من أساليب الدعوة ألا وهو أسلوب التنديد بمعاوية ورفض بيعة يزيد.

ثالثاً: أسلوب التنديد بمعاوية ورفض بيعة يزيد:

في أكثر من موقف ومرة، أعلن الامام الحسين عليه السلام معارضته لسياسة معاوية التعسفية، لاسيما نقضه بنود الصلح مع الامام الحسن عليه السلام، ولطالما حذر المسلمين من مغبة سياسة معاوية المعادية للاسلام وسكوت رؤوس الصحابة عن ذلك، وعندما جاءته الوفود من العراق تترى تعج مما لاقته من سياسة ولاته ضد الناس، إمتنع عليه السلام - بادئ الامر- عن الاستجابة؛ بدافع أن بينه وبين معاوية عقدٌ لا يجوز نقضه حتى تمضي مدته أو يموت معاوية، ونعتقد ان أسباب تأكيد الامام الحسين عليه السلام عدم نقضه صلح الامام الحسن مع معاوية يعود للاسباب التالية:

١- الامام المعصوم وما يحمله هذا الاسم من مسؤولية أخلاقية تجعله في مقامٍ سامٍ ومثلٍ للآخرين في كل شيء، لاسيما الوفاء بالعهد، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الاسراء/٣٤)، من هذا الموقع لاحظ الامام الحسين أن معاوية في نقضه للعهد انما يكشف ويعكس خلقه (وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح)، أما هو عليه السلام فلا يسوغ لنفسه ذلك.

٢- أن معاوية - أمام نقضه العهد - كان يتمنى أن ينقض الامام الحسين العهد؛ حتى تكون له الحجة أمام الناس؛ وحتى يتسنى له تضليل الرأي العام بما أوتي من

إعلام مضلل.

٣- إنما أراد الامام الحسين عليه السلام بصبره عشر سنوات، أن يبين للناس الذين تخاذلوا عن نصرة الامام الحسن عليه السلام معدن معاوية الذي كان يتظاهر بالاسلام، وحتى يبين أيضا من هم أهل البيت وما هي خصالهم - وإن كانت تلك الخصال غير خافية على الناس -؛ لكي تقف الامة أمام مسؤولياتها.

لهذا كله نجد الامام الحسين عليه السلام رفض الخروج على معاوية؛ رغم مكاتبة أهل الكوفة له أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة، بل بالعكس فقد دعاهم إلى لزوم بيوتهم والصبر على ما ألحقه عمال معاوية بهم من ظلم وتعسف، فقد إستعمل معاوية على العراق ولاةً ساموا الشيعة سوء العذاب وإستخدم معهم - الشيعة - بعد حادثة التحكيم طرقاً عدة أهمها[٤٠]:

أ- الحصار الاعلامي ضد أهل البيت عليهم السلام.

ب- القتل الجمعي للشيعة.

ج- ملاحقة قادة الشيعة.

د- إعتقال نساء الشيعة.

هـ- هدم دور الشيعة.

و- سياسة تجويع الشيعة بإسقاط العطاء عنهم.

ز- التهجير القسري للشيعة.

ومع هذا كله رفض عليه السلام رفضاً قاطعاً؛ لأنه كان يرى - برؤيته الثاقبة - أن قتله أثناء حكم معاوية يكون مبكراً؛ لأن فيه قضاءً تاماً على الدين وآمال الامة،بينما قتله خلال حكم يزيد يكون وفاءً لهذا الدين ولهذه الامة؛ لأن الامة سوف تدرك مسؤوليتها بعد أن تتكشف أقنعة حكم بني أمية. وبعد أن تنقضي العشر سنوات ويموت معاوية يكون المبرر للقيام قد حان.

رابعاً: أسلوب الرفض المباشر:

هلك معاوية سنة ستين للهجرة عن عمر ناهز السبعين عاماً[٤١]، مخلفاً بعده إبنه يزيد الذي قضّ مضجعه عدم مبايعة الامام الحسين عليه السلام لحكمه غير الشرعي المزعوم، فأول شيء

قام به بعد توليه الحكم أن راسل إبن عمه الوليد بن عتبة والي المدينة بضرورة أخذ البيعة من الامام الحسين عليه السلام موصياً إياه: فإن أبى عليك فإضرب عنقه وإبعث إليّ برأسه(٤٢)، علماً أنه عجّل بأخذ البيعة من الامام الحسين عليه السلام قبل علم أهل المدينة بهلاك معاوية، وكانت هذه نصيحة مروان بن الحكم، وكذلك نصح الوالي بضرب عنق الامام الحسين عليه السلام إن رفض البيعة، (فأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان إلى الحسين وإبن الزبير فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، فقال: أجيبا الامير، فقالا: إنصرف، الآن نأتيه، فقال إبن الزبير للحسين: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال الحسين عليه السلام: أظن أن طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظن غيره فما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه، قال: فإني أخاف عليك إذا دخلت، قال عليه السلام: لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع، فقام يجمع اليه اصحابه وأهل بيته ثم أقبل على باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخلٌ، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فإدخلوا عليَّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم..... فأقرأه الوليد الكتاب ونعى اليه معاوية ودعاه إلى البيعة، فإسترجع الحسين وقال: (أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً ولا يحتذى بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة دعوتنا معهم كان الامر واحداً، فقال له الوليد وكان يحب العافية: إنصرف)(٤٣)، وطلبه عليه السلام بضرورة أن تكون البيعة علنية لا يدل على أنه عليه السلام كان يريد المبايعة علناً، وإنما أراد أن يستغل إجتماع أهل المدينة الذي يضم رؤوس الصحابة والتابعين وعامة الناس ليعلن رفضه لهذه البيعة أمام الملأ لكي يحذوا حذوه في عدم المبايعة، لكن مروان بن الحكم تنبه لمقصد الامام الحسين عليه السلام، فقال للوليد: لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبسه، فإن بايع وإلا ضربت عنقه، فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: يا إبن الزرقاء، أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولئمت، ثم خرج حتى أتى منزله، فقال مروان للوليد: عصيتني؟ لا والله لا يمكنك من نفسه بمثلها أبدا، فقال الوليد: ويح غيرك يا مروان، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسينا إن قال: لا أبايع، والله إني لا أظن أن إمرءاً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة)(٤٤)، بعد ذلك رحل الإمام

الحسين إلى مكة مع عياله وأهل بيته.

خامساً: أسلوب إعلان المعارضة في موسم الحج:

بعد أن دخل عليه السلام مكة في ليلة الجمعة للثالث من شعبان[٤٥] وهو يقرأ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/٢١)، فلما دخل مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص/٢٢) ومنها خرج إلى العراق، ولعل سبب إختيار مكة هو أنه عليه السلام أراد إستغلال موسم الحج للتحضير للثورة، أضف إلى أن مكة أيام الحج تكون ملتقى الوفود القادمة من كل الاصقاع الاسلامية، وهو عليه السلام - في كل هذا وذاك - لم يعتمدعلى أهل مكة الاصليين بل على وفودها؛ لأن (مكة منذ الايام الاولى للبعثة النبوية الشريفة إلى مرحلة الهجرة النبوية إلى المدينة إلى ما جرى بعد ذلك من صراعات وحروب في الجمل وصفين مركز لأعداء أهل البيت عليهم السلام وذرية علي بن أبي طالب عليه السلام)[٤٦]، والدليل على هذا نجد ان الامام علي بن الحسين بعد سنتين من شهادة ابيه الامام الحسين عليه السلام يقول: (ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا)[٤٧]؛ لما قتل الامام علي عليه السلام منهم في بدر وأحد والاحزاب والجمل، وكانت قريش وقتها موحدة تحت راية عائشة ضد امير المؤمنين علي عليه السلام، من هنا كان المُستقبِل الرئيس والفرح بقدومه ليس اهل مكة بل الحجيج والوافدون إلى مكة من اطراف العالم الاسلامي[٤٨].

لقد احتف به الناس فأخذوا يتوافدون عليه ويجلسون عنده ويستمعون لكلامه، وكان عمرو بن سعيد الاشدق واليا امويا على مكة، فلما وصل الامام الحسين جاءه عمرو وسأله: ما أقدامك؟ قال الإمام عليه السلام:(عائذا بالله وبهذا البيت)، فإنه عليه السلام لم يكذب، بل اراد ان يقول: أن من دخل هذاالبيت كان آمناً، وعمرو هذا- بعد ان سمع يزيد ما صنع الوليد مع الامام الحسين وانه لم يقتله - عزله عن المدينة وولاها عمرو هذا[٤٩]، وفي هذه المدة التي قضاها الامام الحسين عليه السلام في مكة، لم يجرؤ الامويون على الاصطدام به عسكريا، وهذا بدوره يعود إلى:

١- أن مكة كانت مزدحمة بالحجيج، فلم يرغبوا بإحداث ضجة أمام الناس؛ كي لا يثيروا الرأي العام ضدهم.

٢- كان الامام الحسين عليه السلام في كل حركاته وسكناته محاطاً بحماية أنصاره وأهل بيته الذين كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم لأجل إمامهم المعصوم المفترض الطاعة.

٣- أن والي مكة لم يكن يملك الامكانيات العسكرية الكافية للإصطدام بالإمام عليه السلام[٥٠].

ورغم كل هذا وذاك إلا أن الأمويين كانوا عازمين على إغتيال الامام في بيت الله الحرام. ونتيجة لذلك خلع الامام إحرامه وخرج مسرعا من البيت، فقال له الفرزدق: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ قال: لو لم أعجل لأخذت)[٥١]

سادساً: أسلوب المكاتبة مع رؤساء عشائر الكوفة والبصرة:

كانت الكوفة عاصمة امير المؤمنين علي عليه السلام أيام حكمه، وقد غادرها بنوه بعد استشهاده، وكانت تضم أخلاطا من الناس، منهم من تشيع لعلي وآله عليهم السلام ومنهم من ضمر له ولآله العداء، وكان الخوارج منهم، (وبلغ اهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه عن بيعته وما كان من أمر إبن الزبير في ذلك وخروجهما إلى مكة، فإجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله واثنوا عليه، فقال سليمان: إن معاوية قد هلك وأن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وانتم شيعته وشيعة ابيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه ونقتل أنفسنا دونه فاكتبوا اليه وأعلموه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه، قال: فاكتبوا اليه)[٥٢]، لكن الامام الحسين كان يمتنع عليهم ويذكر لهم أن بينه وبين معاوية عهدا لا ينقضه حتى تمضي المدة (فلما مات معاوية وانقضت مدة الهدنة التي كان يمتنع الحسين عليه السلام من الدعوة إلى نفسه)[٥٣] صار لزاما عليه إجابة القوم، فكانت اخطر رسالة وصلت اليه من الكوفة في العاشر من رمضان، وبعد يومين من هذه الرسالة خرج قيس بن مسهر الصيداوي ومعه (نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والاربعة، يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك يتأنى فلا يجيبهم، فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها في نوب متفرقة إثنا عشر الف كتاب)[٥٤]، بعد ذلك بيومين

ارسلوا اليه هاني بن هاني السبعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانا آخر الرسل، وكتبوا اليه: (بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، اما بعد، فحيهلا، فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل والسلام)[٥٥].

هذا وكان الحسين عليه السلام قد راسل وكاتب رؤساء الاخماس بالبصرة والى اشرافها، فكتب يزيد بن مسعود النهشلي إلى الحسين جوابا على مكاتبته اعرب فيه عن استعداده للنصرة، فجمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وشاورهم بالأمر، وقد رد على كتاب الامام الحسين عليه السلام يقول:(أما بعد فقد وصل الي كتابك وفهمت ما ندبتني اليه ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وان الله لم يخل الارض من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة، وانتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرعهم من زيتونة أحمدية هو أصلها وانتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت أعناق بني تميم وتركتهم اشد تسابقا لك من الإبل الظماء يوم خمسها لرود الماء، وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مزن حتى استهل برقها فلمع، فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: آمنك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر)[٥٦]، وقد جهز نفسه وقومه لنصرة الامام الحسين فبلغه قتله قبل ان يسير، فجزع من انقطاعه عنه. وقدفضل الامام الحسين عليه السلام العراق على غيره من الامصار الإسلامية لاسيما الكوفة؛ وذلك لأنه كان يعلم (ان العراق هو المكان الانسب للثورة، إذ لم يكن مغلقاً كالشام للأمويين، وكان عليه السلام ينتظر موقفا جيدا من اهل الكوفة، ولم يكن ينتظر اتصالا ايجابيا من اهل البصرة يبادر إلى دعوته وبيعته لوجود ثقل الامويين في البصرة ولقلة المحبين لعلي بن ابي طالب عليه السلام فيها خصوصا بعد معركة الجمل)[٥٧].

سابعاً: أسلوب الإجتماع برسل القوم:

بعد المكاتبات العديدة بين الامام الحسين عليه السلام وبين انصاره من العراق لا سيما الكوفيين، دخلت الدعوة دورا جديدا، ألا وهو دور ملاقاة رسل القوم (وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس)[٥٨]، وقد كان هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي آخر الرسل الذين قدموا من العراق عليه، فسألهم الامام الحسين عليه السلام عن

اسماء من اجتمع من القوم على آخر كتاب وصله فقال لهما: خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما اليَّ؟، فقالا: يا امير المؤمنين اجتمع عليه شبث بن ربعي وحجار ابن ابجر ويزيد بن الحارث بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عمر التيمي، وكلهم يقولون:(أما بعد فقد إخضر الجناب واينعت الثمار، فاذا شئت فاقبل على جند لك مجندة والسلام)[٥٩]، عند ذلك كتب اليهم الحسين عليه السلام برسالة مع رسلهم هؤلاء جاء فيها: (من الحسين بن علي إلى الملأ المؤمنين والمسلمين، أما بعد فان هانئاً وسعيدا قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي إقتصصتم وذكرتم مقالة جلكم أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى وإني باعث اليكم اخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب الي أنه اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فإني أقدم اليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الامام الا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله والسلام)[٦٠]، وقبل كتابة هذه الرسالة قام عليه السلام فتطهر وصلى ركعتين بين الركن والمقام- لأنه يومها كان في مكة- ثم انفتل من صلاته وسأل ربه الخير فيما كتب اليه اهل الكوفة، ثم جمع الرسل فقال لهم:(اني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد امرني بأمر وأنا ماضٍ لأمره فعزم الله لي بالخير، إنه ولي ذلك والقادر عليه إن شاء الله)[٦١]، وبهذا يكون عليه السلام قد أقام الحجة على شيعته في العراق في عدم الاستجابة الفورية لمطالباتهم بالقدوم عليهم، بل تمهل لإبتلاء القوم في نواياهم.

ثامناً: اسلوب المواجهة العسكرية وإلقاء الخطب الحاثة على القتال:

بعد ان علم الامام الحسين عليه السلام بما حصل لسفيره مسلم بن عقيل بعد ان خذله الناس، وبعد ان وصل اليه خبر استشهاده وطريقة الاستشهاد المؤلمة، مع ذلك صمم الامام على التوجه إلى العراق محتجا عليهم بما راسلوه به وبايعوه عليه، فصار يقول لمن يقابله في طريق الذهاب إلى العراق: (هذه كتب اهل الكوفة اليّ ولا اراهم الا قاتليّ)[٦٢]، وعندما نزل بطن العقبة لقيه رجل من العرب فنصحه بضرورة الرجوع عن قرار الذهاب إلى العراق قائلا له: أنشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف، إن هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطأوا لك الاشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأيا، فأما

على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل. فقال له: "يا عبد الله، ليس يخفى علي الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره ثم إرتحل منها)[٦٣]، فسار فلقيه الفرزدق الشاعر فسلم عليه وقال له:(يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته؟ قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكيا ثم قال: رحم الله مسلما فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وجنته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا)[٦٤] وقد نصحه ابن عمه ابن عباس قبل خروجه من المدينة إلى العراق قائلا:(وأنت تعلم أنه بلد قد قتل فيه أبوك واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وقد بايعه أهله، وعبيد الله في البلد يفرض ويعطي والناس اليوم عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن تقتل، فاتق الله وألزم هذا الحرم، فإن كنت على حال لابد أن تشخص فصر إلى اليمن فإن بها حصونا لك وشيعة لأبيك فتكون منقطعا عن الناس، فقال الحسين عليه السلام: لابد من العراق. قال: فإن عصيتني فلا تخرج أهلك ونساءك فيقال إن دم عثمان عندك وعند أبيك فو الله ما آمن من أن تقتل ونساءك ينظرن كما قتل عثمان، فقال الحسين عليه السلام: والله يا ابن عم لئن اقتل بالعراق أحب إلي من أن اقتل بمكة)[٦٥]. ولكن ياترى ما هذا الاصرار على العراق والكوفة من قبله عليه السلام؟. ويبدو أن الاسباب كما توقعها ارباب التاريخ هي:

١- لأن بذرة التشيع في العراق، فهناك شيعته[٦٦] ومواطن العلويين الذين اخلصوا لأهل بيت النبوة ووقفوا معهم في الجمل وصفين والنهروان، وقد اثنى عليهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب[٦٧].

٢- لأن العراق لم يستسلم لبني امية كبقية الاقطار، فقد كانت الكوفة الحاضرة الوحيدة في العالم الاسلامي التي اخترقت الولاء للأمويين وكانت مقر المعارضة والثورة ضدهم طيلة عشرين عاما.

٣- لم يكن في مكة والمدينة عشرون رجلا يحبون اهل البيت عليهم السلام، وحين خروج الامام الحسين إلى العراق لم يخرج من مكة والمدينة رجل واحد في ثورته، وقد قال علي ابن الحسين: (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا)[٦٨].

٤- إنه عليه السلام كان يعلم أن الله قد إختار مصرعه وبدء مسيرته وحملته لإنقاذ الاسلام هناك في كربلاء وفي العراق، وقد دلت الاحاديث الكثيرة لرسول الله صلى الله عليه وآله بمعرفة هذا

المصير حتى أن أم سلمة(رض) عندما أراد الخروج من المدينة أتته ناصحة قائلة: (يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فاني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا، فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد وإني والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه، واعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها.....)[٦٩]، بعدها وقعت الواقعة على ارض العراق التي انتهت باستشهاده الشريف والتي استنزف عليه السلام قبلها كل الوسائل من اجل انقاذ هذه الامة مما لحق بها من عار بعد أن تولى امر المسلمين بنو امية الذين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله في رؤيا له كأنهم خنازير يصعدون وينزلون من على منبره، وبعد هذه الرؤيا نزل قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ (الاسراء/٦٠).

وقبل استشهاده عليه السلام - ومن باب إكمال الحجة على القوم واتماما لمشروعه الاصلاحي بعد استنفاذه كل الوسائل للدعوة للتغيير- خطب عدة خطب في اماكن متعددة، الهدف منها:

١- عندما خطب في جيش الحر بن يزيد الرياحي، فبعد ان حمد الله واثنى عليه قال: (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيئ، أحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري....)[٧٠].

٢- لما نزل عمر بن سعد بالامام الحسين عليه السلام وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا، فبعد أن حمد الله واثنى عليه قال: (قد نزل ما ترون من الأمر وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبرمعروفها واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء، وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)[٧١].

٣- خطب عليه السلام خطبة ليلة العاشر من المحرم، يقول الإمام السجاد عليه السلام أنه سمع أباه

الحسين وهو يقول لأصحابه بعد أن أثنى على الله وحمده: (أما بعد: فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا، ألا وإني لأظن أنه آخريوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا.....)[٧٢].

٤- خطبة في اهل العراق يوم العاشر من المحرم، فبعد أن حمد الله واثنى عليه قال: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه.....)[٧٣].

٥- ثم خطب خطبة ثانية في اهل العراق من المقاتلين قائلاً: (تبا لكم أيتها الجماعة وترحا وبؤسا لكم! حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفا كان في أيدينا، و وحمشتم علينا نارا أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلبا على أوليائكم، ويدا على أعدائكم، من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم،فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفها وضلة، فبعدا وسحقا لطواغيت هذه الأمة وبقية الأحزاب، ونبذةالكتاب، ومطفئي السنن، ومؤاخي المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الإمام، وملحقي العهرة بالنسب، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.....)[٧٤].

وبهذا يكون عليه السلام قد استنفد كل الوسائل في نصح القوم ودعوتهم إلى الله وقد اكمل الحجة عليهم، ثم استشهد عليه السلام راضيا مرضيا.

نقاط الالتقاء والافتراق بين دعوة نوح عليه السلام والامام الحسين عليه السلام:

١- الاثنان معا كان هدفهما الاول هو الدعوة إلى الله.

٢- أنهما كانا مسددين بالعصمة والتسديد الالهيين اللذين هما الثابت الحقيقي للدعاة إلى الله من الانبياء والائمة عليهم السلام.

٣- أن أمتي كليهما قد أصيبتا بداء (فقدان الإرادة)، فأمة نوح عليه السلام تسلط فيها كبراء القوم على ضعفائهم، وأمة محمد صلى الله عليه وآله تسلط عليها بنو أمية، فتوجب استعمال شتى الاساليب في الدعوة لإيقاظ الأمة وعودتها إلى وعيها.

٤- أنهما عليهما السلام لم ينتصرا بقوة العدة والعدد، بل بقوة المبادئ والعقيدة والايمان، فالذين آمنوا مع نوح عليه السلام ثلة قليلة، لكنهم انتصروا برباطة الجأش والايمان والاستعداد العالي للمواجهة، وكذلك الثلة القليلة مع الامام الحسين عليه السلام.

٥- اختلفت درجات التضحية والايثار بينهما عليهما السلام، فنجدها عند النبي نوح عليه السلام قد أخذت بعدا تخللته العاطفة تارة متمثلة بخطابه لله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود/٤٥) وقلة الصبر على القوم تارة اخرى والانتقام منهم بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح/٢٦)، بينما نجد الامام الحسين عليه السلام- وفي موضع الابتلاء نفسه - يقدم ابناءه وانصاره قرابين لله وللدين، فقد قدم ولده عليا الاكبر وهو اعز ما عنده قائلا:(هون عليّ ما نزل بي أنه بعين الله)[٧٥]، هذا جانب، والجانب الآخر كان عليه السلام يبكي على الجيش الذي يقاتله ويقول:(أبكي لهؤلاء القوم الذين يدخلون النار بسببي)[٧٦]، فحق للعلامة الحلي ان يفتخر ويقول:(الامام أفضل من أنبياء بني إسرائيل أو مساوٍ لهم)[٧٧]، مستندا بذلك إلى ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: (علماء امتي خير من أنبياء بني إسرائيل)[٧٨].

٦- إن عاقبة من يكذب الانبياء وأوصياء الانبياء أن يعجل الله له العقوبة في الدنيا، ثم يرد يوم القيامة إلى أشد العذاب، فقوم نوح عليه السلام عُوقِبوا بالطوفان والغرق في الدنيا، وفي الآخرة عذاب أليم، كذلك فإن من شارك بقتل الامام الحسين عليه السلام قد إقتص

الله منهم في الدنيا أن سلط عليهم المختار الثقفي الآخذ بثأر الحسين عليه السلام، إذ لاحقهم في أرجاء المعمورة واقتص منهم جميعا ثم يردون يوم القيامة إلى أشد العذاب.

٧- كل منهما استنفد كل الوسائل التي يمكن ان تكون متاحة في الدعوة إلى الله والى طريق الحق، ولكن قومهما أبوا الا عنادا، مما ادى بهما إلى الدعاء على قومهما، لكن دعاء نوح عليه السلام يختلف عن دعاء الامام الحسين عليه السلام، فالنبي نوح عليه السلام دعا عليهم بالغرق والطوفان وهو الهلاك ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح/٢٦)، أما الامام الحسين عليه السلام فقد دعا على القوم بقوله: (اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاة عنهم أبدا) ولكنه لم يدع عليهم بالهلاك؛ كون الامة الاسلامية آخر الامم، وكانت نتيجة هذه الدعوة ان اصبحت هذه الامة متفرقة متنازعة، يقتل بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وسُلّط عليهم ولاة ظالمون لم يرضوا على شعوبهم والى يومنا هذا.

النتائج:

١- أن الداعية يجب ان يتحلى بأخلاقيات وصفات تميزه عن الناس الذين دُعُوا إلى الله.

٢- أن نوحاً عليه السلام لم يدعُ على قومه بالهلاك إلا بعد أن استنفد كل الوسائل والاساليب لهذه الدعوة.

٣- كذلك الامام الحسين عليه السلام لم يعلن الكفاح العسكري المسلح على القوم إلا بعد أن إستنفد كل الطرق في الدعوة إلى العودة إلى دين محمد صلى الله عليه وآله الاصيل.

٤- إن الامة الاسلامية لم تتعض بما حصل للأمم السابقة؛ لذا وقعت بنفس ما وقعت به هذه الامم.

٥- ان الله عز وجل قادر على ان يهب النصر لأولياءه في كل زمان ومكان، لكنها سنة الله في خلقه ان جعل هذه الدنيا دار بلاء وابتلاء، وبالتالي عبرة لكل ابناءآدم عليه السلام ليطلع حيُّهم على ما فعل اسلافه، وعليه فإن التريخ لا يعيد نفسه مرتين- كما يقولون- إنما الانسان يكرر غباءه مرتين.

Abstract

Means Of The Preachers To The God, The Prophet Noah and Imam Hussein as an Example, a Comparative, Historic, and Qura'nic Study

The research is a comparison between the the means of preaching to the God that are used by the prophet Noah and that means used by Imam Husain (Peace be upon him). And the effectiveness of these means which used by both of them when inviting their people to the God.

As a result of the research, we proved that the saying of the prophet Mohammad:" Scientists my nation is better than the prophets of the Israelites" is an evidence upon the fact that refer that the custodians of our prophet Mohammad have more generosity and leniency than other prophets and this is an evidence of the notability of our Imams.

هوامش البحث

(١) مستدرك الوسائل: الميرزا حسين النوري، ٢٨٢/٢.

(٢) بحار الانوار: المجلسي، ٣/٢.

(٣) أنظر: الأسوة الحسنة: محمد اليعقوبي، ١٦-٢١.

(٤) أنظر: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ٢٧٣/٤.

(٥) تفسير البغوي: البغوي، ٢٨٨/٥.

(٦) مجمع البيان: الطبرسي، ٥١/٩.

(٧) الامثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٣٦٩/١٥.

(٨) صحيح مسلم: مسلم، ٦٢/٨.

(٩) مجمع البيان: الطبرسي، ٦٧٢/٢.

(١٠) بحار الانوار: المجلسي، ٢١/٤٥.

(١١) التبيان: الطوسي، ٣٩٣/٤.

(١٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: علي خان المدني،٣٠٥.

(١٣) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ٤٩٤/١١.

(١٤) موجز علوم القرآن: داود العطار، ٩٩.

(١٥) الامثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٣٤٦/٤.

(١٦) أنظر: الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ٥٢/١-٥٤.

(١٧) بحار الانوار: المجلسي، ٢٧٨/١١.

(١٨) البرهان في تفسير القرآن: البحراني، ٢١٧/٢.

(١٩) الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ٥٤/١.
(٢٠) بحار الانوار: المجلسي،٢٩٨/١١.
(٢١) مجمع البيان: الطبرسي، ٥٤٢/١٠.
(٢٢) العلامة الطباطبائي يلفت النظر إلى ذلك بقوله: (لاحظوا قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات/٧٩) التحية وسلام على نوح عليه السلام في كل الخط العالمي البشري- في العالمين- فله الفضل عليهم، وهذا النمط من السلام لم يأت لنبي من الانبياء، نعم يوجد سلام آخر مثل ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ (مريم/٣٣) و﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ (الصافات/٣) ولكن ليس في العالمين، الميزان: الطباطبائي، ٣٢/٥.
(٢٣) التفسير الكبير: الفخر الرازي، ١٣٤/٣٠.
(٢٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ١٨٣/٣.
(٢٥) مجمع البيان: الطبرسي، ٥٤٣/١٠.
(٢٦) م. ن. ١٣٤/١٠.
(٢٧) الملهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس، ١٢٦.
(٢٨) م. ن، ١٠٢.
(٢٩) كامل الزيارات: القمي، ٣٧٥.
(٣٠) الاحتجاج: الطبرسي، ٨٧/٢.
(٣١) بحار الانوار: المجلسي، ١٥٤/٤٤.
(٣٢) الامام الحسن في محنة التاريخ: عايدة عبد المنعم طالب، ٣٦١.
(٣٣) عيون الاخبار: ابن قتيبة، ٣١٤/٢.
(٣٤) الحركة الاصلاحية بين اصحاب الكساء والحسين سيد الشهداء:صدر الدين القبانجي،٢٣.
(٣٥) بحار الانوار: المجلسي، ٤٩/٢٤.
(٣٦) صحيح مسلم: مسلم، ٢٠/٦.
(٣٧) الامامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ١٥٨/١.
(٣٨) م. ن، ١٥٩/١.
(٣٩) نقلا عن كتاب: الامامة وقيادة المجتمع: كاظم الحائري، ١٧٩.
(٤٠) أنظر:الحركة الاصلاحية بين اصحاب الكساء والحسين سيد الشهداء:صدر الدين القبانجي، ٥٦-٥٧.
(٤١) أنظر: الأعلام: الزركلي، ١٧٢/٨-١٧٣.
(٤٢) تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ٢٤١/٢.
(٤٣) الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ٣٧٨/٣.
(٤٤) م. ن، ٣٧٨/٣.
(٤٥) إعلام الورى: الطبرسي، ٢٢٣.

(٤٦) تاريخ النهضة الحسينية: جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ٦٢-٦٣.
(٤٧) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ١٠٤/٤.
(٤٨) الارشاد: المفيد، ٣٦/٢.
(٤٩) أنظر: تذكرة الخواص: ابن الجوزي، ٢٣٧.
(٥٠) أنظر: تاريخ النهضة الحسينية: جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ٦٩.
(٥١) بحار الانوار: المجلسي، ٣٦٥/٤٤.
(٥٢) الارشاد: المفيد، ٢٥٣.
(٥٣) م. ن، ٢٥٠.
(٥٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس، ١٠٧.
(٥٥) تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ٢٢٩/٢.
(٥٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس، ١١٣.
(٥٧) تاريخ النهضة الحسينية: جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ٦٦.
(٥٨) الارشاد: المفيد، ٢٥٥.
(٥٩) م. ن، ٢٥٥
(٦٠) م. ن، ٢٥٥.
(٦١) الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ٣٠/٥.
(٦٢) الكامل في التاريخ: الطبري، ٤٠٨/٣.
(٦٣) م. ن، ٤٠٤/٣.
(٦٤) مقتل الامام الحسين: محمد رضا الطبسي النجفي، ٢٧٢.
(٦٥) مقتل الحسين: الخوارزمي، ٣١٠/١.
(٦٦) تاريخ ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ٢٩٤.
(٦٧) الامامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ١٢٨/١.
(٦٨) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ١٠٤/٤.
(٦٩) بحار الانوار: المجلسي، ٣٢٨/٤٤.
(٧٠) م. ن، ١٩٢/٤٤.
(٧١) الارشاد: المفيد، ٩١/٢.
(٧٢) م. ن، ٩٧/٢.
(٧٣) الاحتجاج: الطبرسي، ٢٤/٢.
(٧٤) بحار الانوار: المجلسي، ٤٦/٤٥.
(٧٥) بنور فاطمة اهتديت: عبد المنعم حسن، ٢٠١.
(٧٦) الالفين في امامة امير المؤمنين: العلامة الحلي، ٣٤٣.

(٧٧) بحار الانوار: المجلسي، ٣٠٤/٣٥.
(٧٨) م. ن، ٣٥/ ٣٥٥.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم خير ما نبتدأ به.

١- الإحتجاج: الطبرسي، ابو منصور، احمد بن علي بن ابي طالب، (ت:ق٦هـ)،تح: ابراهيم البهادري، مؤسسة أسوة، قم، ط٦، ١٤٢٥هـ.

٢- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: المفيد، ابو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان العكبري(ت:٤١٣هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.+ طبعة الاعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٣- الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين: محمد اليعقوبي، مكتب اليعقوبي.

٤- الأعلام: الزركلي، خير الدين،(ت:١٤١٠هـ)، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

٥- إعلام الورى بأعلام الهدى: الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ط٣، ١٣٩٠هـ.

٦- الالفين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: العلامة الحلي، جمال الدين، الحسن بن يوسف المطهر(ت:٧٢٦هـ)، مكتبة الالفين، الكويت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦- الامامة قيادة المجتمع: كاظم الحائري، مطبعة باقري، قم، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م

٧- الإمامة والسياسة(تاريخ الخلفاء): ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت:٢٧٦هـ) تح: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه.

٨- الامام الحسن في محنة التاريخ: عابدة عبد المنعم طالب، دار الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، بيروت، ط١، ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ

١٠- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار: المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(ت:١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١- البرهان في تفسير القرآن: هاشم الحسيني البحراني(ت:١١٠٧هـ)، مؤسسة دار التفسير، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

١٢- بنور فاطمة إهتديت: عبد المنعم حسن، دار المعروف، قم، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٢- تاريخ ابن عساكر: ابن عساكر،ابو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي(ت:٥٧١هـ)، تح: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت.

١٣- تاريخ النهضة الحسينية: جمعية المعارف الاسلامية، معهد سيد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٤- تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت:٢٨٤هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٥- التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، ابو جعفر، محمد بن الحسن(ت:٤٦٠هـ)، تح: احمد قصير، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٦- تذكرة الخواص،او(تذكرة الامة في خصائص الائمة"ع"): ابن الجوزي، ابو الفرج، عبد الرحمن الحنفي(ت:٢٩٢هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

١٧- تفسير البغوي (معالم التنزيل في التفسير والتأويل): البغوي، ابو محمد،الحسين بن مسعود الشافعي،(ت:٥١٦هـ)، دار طيبة، الرياض، السعودية،ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٨- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، عماد الدين، ابو الفداء، اسماعيل الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)، دار الاندلس، بيروت، (ب-ت).

١٩- التفسير الكبير(مفاتح الغيب): الفخر الرازي، فخر الدين،محمد بن عمر الخطيب،(ت: ٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٢١هـ.

٢٠- الحركة الاصلاحية بين اصحاب الكساء والحسين سيد الشهداء: صدر الدين القبانجي، تح: مؤسسة التراث الشيعي، النجف الاشرف، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢١- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: علي خان الحسيني المدني(ت:١١٢٠هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي،قم، ط٤، ١٤١٥هـ.

٢١- شرح نهج البلاغة: إبن أبي الحديد، عز الدين، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني، (ت:٦٥٦ هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٢٢- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري(ت:٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٢٣- عيون الأخبار: الدينوري، ابن قتيبة، ابو محمد، عبد الله بن مسلم(ت:٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والآثار المصرية، (ب-ت).

٢٤- الفتوح: إبن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد(ت:٣١٤ه)،تح:على شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١١ ه - ١٩٩١ م.

٢٥- كامل الزيارات: ابن قولويه، ابو القاسم، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس(ت:٦٦٤هـ)، تح: جواد الفيومي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٦- الكامل في التاريخ: ابن الاثير، أبو الحسن، عزالدين، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني،(ت:٦٣٠هـ)،تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٧- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، تح: هاشم المحلاتي وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٨- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي(ت:١٣٢٠هـ)

تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،ط١، ١٤٠٨ ه - ١٩٨٧

٢٩- مقتل الامام الحسين: محمد رضا الطبسي النجفي،(ت:١٤٠٥هـ)، تح: محمد امين الاميني،مؤسسة محبين، قم، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٠- الملهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس، ابو القاسم،علي بن موسى بن جعفر(ت:٦٦٤هـ)،تح: فارس الحسون، دار الاسوة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٣١- موجز علوم القرآن: داود العطار، مطبعة شريعت، ايران،ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٢- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي،مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

٣٣- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت:١١٠٤هـ):، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم،ط١، ١٤١٤هـ.